

هل يسقط عرّاب اتحاد الكتّاب الجزائريين؟!

التعاقد الثقافي والسياسي في سبيل المنافع المشتركة



بقلم: شَبّوب أبو طالب
26 أكتوبر 2005

عاش اتحاد الكتّاب الجزائريين فترة شديدة الاضطراب، بعد أن أعلن بعض من أعضائه خلع رئيسه عز الدين ميهوبي، ورفض الرجل القرار، وهدّدوا هم بالذهاب إلى المحكمة، وطالبوا بلجنة رقابة مالية على عهدة الرئيس المخلوع، وتصلّب هم وتصلّبوا... واتّجهت أوضاع أقدم هيئة كتّابية جزائرية إلى مرحلة شديدة التعقيد...

ثمار مسمومة لدورتين من الشدّ والجذب، فما حكاية سقوط عراب اتحاد الثقافة الجزائرية؟

اتحاد الكتاب الجزائريين كان قد دخل مرحلة من السبات العميق مباشرة مع دخول الجزائر نفق أزمتها الأمنية، ناهيك عن أن أعضاء بارزين فيه استدعوا للتحقيق الأمني بل واعتقل بعضهم، على خلفية ولاءات سياسية لحزب «الجبهة الإسلامية للإنقاذ»، الحزب الأصولي الذي فجر بركان الدم. من بين هؤلاء، كان رئيس الاتحاد الحالي، عز الدين ميهوبي، الذي استدعي إلى ثكنة «ابن عكنون» الشهيرة في العاصمة، والتي يغني اسمها عن كل شرح! من بين هؤلاء أيضاً الأستاذ الجامعي نور الدين درويش، الذي اعتقل دونما تهمة واضحة ومكث بعض الوقت في السجن - ظلماً على حدّ قوله - وتم تجريده من جواز سفره.

ولأن كل شيء توقّف في البلد فإن الاتحاد ذاته طاله الجمود، ووجد الكتاب أنفسهم مطاردين أو مرغمين على الصمت. دام هذا الوضع إلى اللحظة التي أرادت فيها الجهات الرسمية الحصول على (تزكية ثقافية) في حربها على الجماعات الإرهابية المسلحة، طبعاً كان واضحاً في ذلك الحين أن الدم يسفك من جهات متعدّدة، كما بدا واضحاً ما اعترف به رئيس الجمهورية نفسه، من انه إذا كانت الجماعات الإرهابية قد ذبحت وقتلت، فإن هنالك (إرهاباً إدارياً) لا يجدر غضّ الطرف عنه.

في هذه المرحلة تم سحب (كارت) عز الدين ميهوبي من الجيب السحري، وتعهدهته السلطات الرسمية بالعناية، وكان الثمن الذي يتعيّن دفعه، هو تلك الندوة التي عقدها الاتحاد حول ظاهرة العنف وانتقد فيها الظاهرة وندّد بها. مثل هذه الندوة كانت (كل) ما تطالب به السلطة ليواصل فريقها الاستتصالي الحرب ضدّ الإرهاب بقوة. في ذلك الحين لم يكن مقبولاً الحديث عن أي تسوية، ولكن لوحظ حينها أن ميهوبي راح يتدرّج في سلسلة من المناصب الرسمية عبر الجرائد الحكومية، ثم على رأس قطاع الأخبار في التلفزيون الجزائري، ثم في رئاسة اتحاد الكتاب. وفي كلّ منها كان يؤدّي ما هو مطلوب وزيادة! لا حديث هنا عن تغيير القناعات الذي اتسم به مساره ولا عن تحوّل من «حزب جبهة التحرير الوطني» إلى «التجمع الوطني الديمقراطي» لأن كل ذلك تم في إطار (صفقة) و(ثمن) على حدّ قول متابعين للشأن الثقافي الجزائري.

هنا وفي النصف الثاني للتسعينات الجزائرية، نحن نعيش مرحلة صناعة (نجم ثقافي). فعز الدين ميهوبي يلج البرلمان الجزائري ضمن قوائم الحزب الذي زور الانتخابات، ويتاح له الوصول إلى وسائل الإعلام، كما يتاح له المال والنفوذ وتلتقي رغبته في صناعة ذاته مع رغبة السلطات في فكّ الحصار الذي كانت تعانيه دبلوماسياً. وفي سبيل ذلك، يكون ميهوبي السفير الثقافي المتجول، الحاضر في كل مكان، يلقي مرثية مدوية لعميد (مقاومي الإرهاب) يوم وفاته، الشيخ المخفي، ويبشّر ببلد يتعافى من محنته في كل منبر يتاح له الوصول إليه - بالمال العام طبعاً - ويؤلف الأوبريهات، وينشّط المحاضرات داخلياً وخارجياً.

تمضي المسيرة و(النجم) يناضل بكل ما أوتي من قوّة، حتّى مع تبدّل القائمين على الحكم، لأنّ الولاء كان معقوداً للمنتصر دوماً لا لشخص ولا لآخر. فالرجل الذي وقف ضدّ الإرهاب عام 1997 هو نفسه الذي ألف قصيدة غزل بمسعى المصالحة مع الإرهابيين، ألقيت على مسامح رئيس الجمهورية. والرجل الذي قدّم للكتاب الشباب على أساس أنه راعيهم، هو نفسه الذي تحوّل إلى شخصية عامة تستهلك أي لقاء مع أي كان في الحديث عن ذاتها! فيما تتراكم كتب المؤلفين الشباب في مقرّ الاتحاد مثل بضاعة تالفة وبغير قيمة. والرجل الذي خاض حرباً ليتمكّن من رئاسة الاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب باسم الجزائر، هو نفسه الرجل الذي تستفد الجزائر منصبه سوى بضع سفريات لشخصه وبعض مقرّبيه! والرجل الذي ادّعى النضال لإتاحة فرصة البروز لمبدعي الداخل الجزائري هو نفسه الذي يتحدّث في كل مكان عن صور يخيل لسامعها أنّها نقل أمين لـ (المشهد الثقافي الجزائري)، خصوصاً بعد تأليفه لمسلسل «عذراء الجبل» بمشاركة سورية، وبثّه عبر التلفزيون الرسمي. ورغم أن المسلسل لم يكن فلتة، ولم تشتت حقوق بثّه سوى بضع قنوات ليس بينها أي قناة مرموقة، فإنّ الرجل يصرّ على أنّه قدّم عملاً كبيراً!

في هذه الأثناء راح الاستياء يتزايد داخل أوساط الكتاب الشباب ممن صعّدوا به إلى السقف، فهم على حدّ قول الشاعر صالح سويعد «صعدنا به ليفتح لنا الطريق، فصعد وقطعه علينا».

وتظافر الاستياء الشبابي ضدّ (العراّب) مع فقدانه لرصيده السياسي بعد أن تحوّل حزب المزورّين الذي اختاره (شاعر المواقف الوطنية) من الصفّ الأوّل إلى الثاني، وقد يفقد رئاسة الحكومة قريباً.

والحاصل أن الرجل قد وجد نفسه بعد دورتين، في وضع لا يحسد عليه، بعد أن أعلن طائفة من أعضاء المجلس الوطني سحب الثقة منه، وطالبوا مجلس المحاسبة، أعلى هيئة رقابية مالية رسمية، بالتدخل لتحقيق في الذمة المالية للاتحاد، متهمين إياه بتدمير مؤسسة الهيئة وإدارتها انفرادياً... قد يكون جيل جديد من الانتهازيين قادمًا لشغل المنصب الأثير، وقد تكون حركة تصحيحية فاعلة، ولكن الأكيد أن الذي قد شغل منصب عراب الكتاب الجزائريين، منذ أكثر من ست سنوات، قد أحرق كافة أوراقه!